مجلة الحقيقة للعلوم الاجتماعية والانسانية
EL - HAKIKA (the Truth)
Journal for Social and Human Sciences

المجلد: 23 / العدد: 03 / السنة:2023 ص ص:402-421

المتون العلمية وتقنيات التدريس عند الشيخ عبد الرحمن الأخضري

The Scientific Texts and Teaching Techniques of Sheikh Abdurrahman Al-Akhdari

عبد الحميد عومري

جامعة أحمد درايعية أدرار (الجزائر)، abd.oumri@univ-adrar.edu.dz

تاريخ الاستلام: 2023/04/04 **تاريخ القبول:** 2023 /09/25 **تاريخ النشر:** 2023 /09/30

ملخص:

اختلف العلماء في الحكم على طبيعة المتون العلمية؛ هل هي مظهر من مظاهر تراجع الانتاج الفكري في العالم الاسلامي وانحصاره في وضع المتون والمختصرات، أم أن المتون العلمية منهج جديد في تلقين الطلاب مبادئ العلوم وتيسير حفظها، ومن بين العلماء الذين اهتموا بالمتون العلمية الشيخ عبدالرحمن الأخضري؛ الذي ألّف متن في فقه العبادات، واختصر لطلابه مبادئ علم المنطق في منظومة السلّم المرونق، كما ألّف منظومة "الجوهر المكنون في صدف ثلاث فنون" في البلاغة، ومنظومة "الذرة البيضاء" في علم الفرائض والحساب، وأخرى في علم الفلك وأسماها "أزهر المطالب في هيئة الأفلاك والكواكب"...ومنظومات تعليمية أخرى كان يهدف من وضع متونه تبسيط مبادئ العلوم لطلابه وتيسير حفضها، ولهذا لقيت إقبالا من حيث الدراسة والتدريس، وانتشرت في مختلف المدارس والحواضر العلمية مشرقا ومغربا.

وتهدف هذه الدراسة إلى إبراز تقنيات التدريس عند الاخضري في الالتزام بالاختصار، والموسوعية في تعليم العلوم، واستخدام المنطق في الاقناع، والتركيز في حسن الابتداء وحسن الاختتام لدى الشيخ عبدالرحمن الأخضري.

كلمات مفتاحية: الأخضري؛ التدريس؛ المتون العلمية؛ التأليف؛ علوم.

Abstract: There are many opinions of scientists in judging the nature of scientific systems, as a manifestation of the decline in intellectual production or a new approach in teaching students the principles of science and facilitating its memorization. among the scholars who were interested in scientific texts is Sheikh Abdurrahman Al-Akhdari, who wrote a text in the jurisprudence of worship, and summarized for his students the principles of logic in the "solam almorawnaq" system, as well as the "jawhar almacnon" system in rhetoric, and the "aldora albaydaa" system in The science of obligatory and arithmetic.

This study aims to highlight the teaching techniques of Al-Akhdari in adhering to the abbreviation, encyclopedic in science education, the use of logic in persuasion of Sheikh Abdurrahman Al-Akhdari.

Keywords: Al-Akhdari ; teaching ; scientific texts ; authorship ; science.

مقدمة:

عبدالرحمن الأخضري (**الأخضري** أ.، **1987**، **صفحة 135**) عالم جزائري، من قرية بنطيوس ولاية بسكرة حاليا، عاش خلال القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي، ولد 940هـ/1516م، وتوفي حسب رأي ابو القاسم سعد الله 953هـ/1548م، يعد من أبرز العلماء الموسوعيين في تاريخ الجزائر خلال الفترة العثمانية ومن أكثرهم تأليفا للمتون العلمية، واهتماما بطرق التدريس، وهو ما سنحاول تسليط الضوء عليه من خلال هذا المقال.

1- متون الشيخ عبد الرحمن الأخضري

اتجه العلماء إلى تأليف المنظومات التعليمية حتى أدركوا ما في طبائع الإنسان من ميل غريزي إلى استيعاب المنظوم واستظهاره على نحو يفوق استيعابهم المنثور واستظهارهم إياه، ومن تم مثّل نظم العلوم انعكاسا واضحا لرغبة العلماء في حفظ العلوم وتسهيل انتشارها وهذا ما نلمسه في مؤلفات الأخضري (**هني، 6-7 مارس 2012، صفحة 127**) التي جاءت معظمها عبارة عن منظومات تعليمية.

تسهل المنظومات التعليمية على المتعلم الحفظ واستيعاب العلوم لكنها تصعب على ناظميها في تلخيص وتبسيط المعارف في شكل نظم دون الإخلال بقواعد الشعر من جهة أو المادة المعرفية من جهة أخرى «وهو ما يتطلب من الناظم مهارة عقلية، وشحذ للذهن، واستكشاف لدقائق المعاني ونظمها في أبيات شعرية» (**الحلبوني، 2006، صفحة 97**)وهو ما توفر في مؤلفات الأخضري التي تنوعت بين العلوم العقلية والنقلية.

1-1في العلوم العقلية

ترك الشيخ عبد الرحمن الأخضري عدة متون في العلوم العقلية؛ ففي علم الفلك ترك مؤلفان وهما السراج في الهيئة، وأزهر المطالب في هيئة الأفلاك والكواكب. فالمتن الأول عبارة عن منظومة في علم الفلك تتكون من 296 بيتا، نظمها سنة 939هـ/1534م «وقد تحدث فيها عن

أمور عديدة، خاصة بالفصول وتعاقب الليل والنهار وبعض القواعد الفلكية، ويعد "السراج في الهيئة" من أهم الأعمال في علم الفلك لتوالي الشروح عليه» (**بوشيبة، مارس 2012، صفحة 132**)؛ حيث افتتح الأخضري منظومته بالحمد لله والصلاة والسلام على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، لينتقل غلى تعريف علم الفلك وتبيين فضله ووجوب تعلمه فيقول: (**الأخضري ع.، السراج في الهيئة، (د.ت)، صفحة 01**)

وبعد فاعلم أن علم الفلك علم عزيز من أجل مسلك

أعني الذي تدري به الأوقات والفجر والقبلة والساعات

وما به تطرق للغيب فذاك الحرام دون ريب

فلأخضري يحدد مفهوم علم الفلك حسب مجالات البحث فيه، فهو إذن البحث في معرفة الأوقات سواء اليومية أو الشهور أو الفصول، وليس التكهن بما سيقع وسماه " التطرق للغيب"، ولم يكتف الأخضري بالترغيب بمعرفته –أي علم الفلك– بل جعله ضروريا وفرضا، فيقول: (**الأخضري ع.، السراج في الهيئة، (د.ت)، صفحة 01**)

واعلم أن الجهل بالأوقات جهل بأمر الصوم والصلاة

فالعلم بالأوقات فرض يقبل لأنه به يتم العمل

وقد جعل الأخضري فصلا مفصلا عن معرفة ساعات النهار بالأقدام، وفصلا آخر لمعرفة السنة الكبسية، وفصلا لمعرفة بداية كل فصل من فصول السنة، وفصلا في معرفة سنين ذي القرنين، وفصل في الشهور الأعجمية، وفصل في معرفة ساعات الليل...

أما متن أزهر المطالب في هيئة الأفلاك والكواكب فهي منظومة علمية وتعليمية للشيخ عبدالرحمن الأخضري خصها بتعريف "الاسطرلاب" وهي آلة فلكية قديمة ترصد من خلالها مواقع الكواكب والنجوم والأجرام السماوية، ومعرفة الوقت وشتى القضايا الفلكية كما كانت تستعمل في تحديد ساعات الليل والنهار، وهي أنواع: مسطح وكروي وخطي، ونظرا لحاجة الناس لهذه الآلة في ذلك الزمان، وتعدد مزاياها، وباعتبارها علما قائما بذاته فقد جعل لها الأخضري منظومة

حوت 256 بيتا (**مصمودي، 2008، صفحة 146**)واختار لها بحر الرجز حتى يسهل على الطلبة والدارسين ترديدها وحفظها، يقول فيها: (**الأخضري ع.، السراج في الهيئة، (د.ت)، صفحة 02**)

فهذه رسالة مهذبة مفيدة موجزة مقربة

باسطة لفن الاسطرلاب على بساط الحق والصواب

سميتها بأزهر المطالب في هيئة الأفلاك والكواكب

وترك الأخضري في علم الحساب والفرائض متن الدرة البيضاء وهي منظومة في علم الفرائض والحساب تحتوي على ما يقارب 500 بيت (**بوعزة، 29 نوفمبر–6ديسمبر 2004، صفحة 10**)، ألفها الأخضري وهو في سن شبابه عندما كان تلميذا على والده في منطقة تفلفل في مسكن الدار البيضاء، والدرة البيضاء ليست معادلة للدار البيضاء أو انعكاسا لما في نفسية الناظم، إنما الدرة البيضاء هي العقل الأول في المفهوم الصوفي، لقوله صلى الله عليه وسلم: «أوّل ما خلق الله الدرة البيضاء»، وقوله: «أول ما خلق الله العقل» (**تبرمسين، ديسمبر 2008، صفحة 41**).

قسم الأخضري منظومته إلى ثلاث أقسام: الحساب، التركات، القسمة، واستهلها بمقدمة جاء فيها بعد حمد الله والثناء على رسوله صلى الله عليه وسلم: (**الأخضري ع.، 1990، صفحة 07**)

الحمد لله العالم الوارث الدائم الفرد القديم الباعث

هذا وإن أحسن المقاصد وأحسن الفنون والفوائد

فن الفرائض الذي تعلقا بالإرث فلتكن به محققا

كما أن للأخضري رسالة في علم الحساب تم نشرها ضمن مجموع متون تحتوي على سبع وستين بيتا في مختلف المسائل المتعلقة بالحساب كالجمع و الضرب والطرح والقسمة والأعداد...وهي مقسمة إلى سبعة أبواب؛ فالباب الأول يتحدث عن حروف الغباري والثاني عن الجمع، أما الثالث فتكلم الأخضري فيه عن الطرح، والرابع عن الضرب، والباب الخامس خصصه للقسمة، أما الباب السادس فجعله للتسمية والسابع عن الاختبار (**الأخضري ع.، رسالة في علم**

الحساب (ضمن مجموع من أمهات المتون المستعملة في غالب خواص الفنون)، 1306هـ، الصفحات 325–331).

فيقول الأخضري في هذه الرسالة عن حروف الغباري: **(الأخضري ع.، رسالة في علم الحساب (ضمن مجموع من أمهات المتون المستعملة في غالب خواص الفنون)، 1306هـ، صفحة 325)**

حروفه معلومة مشهورة من واحد لتسعة مذكورة

وجعلوا صفرا علامة الخلا وهو مدور كحلقة جلا

وهذه المنظومة عبارة عن مفاهيم ومبادئ حسابية، اختصرها الأخضري وبسطها وفقا لمنهج تعليمي، فعرف بالأعداد أولا ثم شرع في التعريف بطريقة الجمع وكيفية الطرح والضرب والقسمة وانتهى بالاختبار.

يعد عبدالرحمن الأخضري من أبرز من ألف في المنطق خلال العهد العثماني، ولم تقتصر شهرته على تأليفه هو نظما وشرحا، ولكن ما جذب إليه من اهتمام العلماء الآخرين لشرح ودراسة عمله في المنطق **(سعد الله، 2008، صفحة 28)**، والسلم المرونق عبارة عن رجز يتكون من 144 بيتا **(بوعزة، 29 نوفمبر–6ديسمبر 2004، صفحة 10)** في مطلعه: **(الأخضري ع.، مخطوط السلم المرونق في علم المنطق، د.ت، صفحة 01)**

الحمد لله الذي قد أخرجا نتائج الفكر لأرباب الحجا

وحظ عنهم من سماء العقل كل حجاب من سحاب الجهل

حتى بدت لهم شموس المعرفة رأوا مخدراتها منكشفة

يحتوي السلم على المبادئ الأساسية في المنطق، بدأ المؤلف بتعريف هذا العلم فيقول: **(الأخضري ع.، مخطوط السلم المرونق في علم المنطق، د.ت، صفحة 01)**

وبعد فالمنطق للجنان نسبه كالنحو للسان

فيعصم الأفكار من غي الخطأ وعن دقيق الفهم يكشف الغطا

وفي شرح هذين البيتين يقول الأخضري: «المنطق آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ في الفكر» ويضيف «المنطق علم يعرف به كيفية الانتقال من أمور حاصلة في الذهن لأمور مستحصلة فيه» (**الأخضري ع.، مخطوط شرح السلم المرونق، صفحة 03**)، وبعد ذلك أشار إلى الكتاب والسنة وسلامة العقل، وقد رد على بعض الفقهاء الذين رفضوا المنطق بدعوى أنه يحث على الإلحاد زاعمين أن كل من "تمنطق تزندق"، ثم تناول أنواع العلم الحادث، أنواع الدلالة الوضعية وهي علاقة المطابقة ودلالة الطعن ودلالة الالتزام ثم انتقل إلى فصل في التناقض مبينا معناه وشروطه، وتوسع في القياس نظرا لأهميته وقسمه غلى قسمين: الأول يشتمل على النتيجة أو على نقيضها بالقوة ويسمى اقترانا عمليا، والثاني يشتمل على النتيجة أو نقيضها بالشمل ويسمى استثنائيا وشرطيا (**أبو عمران و وآخرون، 2007، صفحة 23**).

ينهي الأخضري منظومته "السلم المرونق" بتأريخها ومعتذرا عن أي خطأ تحتويه نظرا لحداثة سنه فيقول: (**الأخضري ع.، مخطوط السلم المرونق في علم المنطق، د.ت، صفحة 11**)

ولبني احدى وعشرين سنة	معذرة مقبولة مستحسنة
لاسيما في عاشر القرون	ذي الجهل والفساد والفتون
وكان في أوائل المحرم	تأليف هذا الرجز المنظم
من سنة إحدى وأربعين	من بعد تسعة من المئين

وقد اعتمد الأخضري في كتابه على المؤلفات المتداولة في الثقافة العربية منها: "ايساغوجي" لبروفيروس (شارح أرسطو)، وكتاب "النجاة" لابن سينا، و"المستصفى" للغزالي، و"التعريفات" للجرجاني ومختصر السنوسي في المنطق (**أبو عمران و وآخرون، 2007، الصفحات 23-24**).

2-1 في العلوم النقلية

وضع عبد الرحمن الأخضري مختصرا في فقه العبادات على مذهب الإمام مالك رضي الله عنه، وهو المختصر الذي شرحه عبد اللطيف المسبح شرحا كان موضع نقد عبدالكريم الفكون الحفيد الذي عمد إلى شرح مختصر الأخضري أيضا، وقد سمى الفكون شرحه "الدرر على

المختصر" (**سعد الله، 2008، صفحة 27**) قال عنه: «نبهنا عن فوائد فيه لم توجد في المطولات، ونكت حسان قل أن تلقى في غيره، وتنبيهات وفروع أخذناها من فحوى خطابه، وربما نبهنا على ما طغى به قلم شارحه المذكور» (**الفكون، 1987، صفحة 46**).

افتتح عبد الرحمن الأخضري مؤلفه "مختصر في فقه العبادات" بـ«الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيئين أول ما يجب على المكلف تصحيح إيمانه، ثم معرفة ما يصلح به فرض عينه، كأحكام الصلاة والطهارة والصيام، ويجب عليه أن يحافظ على حدود الله تعالى ويقف عند أمره ونهيه ويتوب إلى الله سبحانه قبل أن يسخط عليه» (**الأخضري ع.، مخطوط مختصر في فقه العبادات على مذهب الإمام مالك، د.ت، صفحة 68**).

يتعرض الأخضري بعد ذلك إلى شروط التوبة ويلخصها في عنصرين،؛ الندم على ما فات والنية ألا يعود فيما بقي من عمره بامتثال الأوامر واجتناب النواهي، ثم انتقل للحديث عن الطهارة وقسمها إلى قسمين: طهارة حدث وطهارة خبث مفصلا في ذلك بأمثلة فقهية، وبعدها تحدث عن فرائض الوضوء ونواقضه، والتيمم ونواقضه، ثم يعالج الأخضري في ما بقي من مؤلفه: فرائض الصلاة وشروطها وفضائلها وسننها واختتم بباب السهو (**الأخضري ع.، مخطوط مختصر في فقه العبادات على مذهب الإمام مالك، د.ت، الصفحات 68-75**).

وينهي الأخضري مختصره بمسألة إذا سلم الإمام قبل كمال صلاته وهو متيقن بإتمامها فيقول: «وإذا (سلم) الإمام قبل كمال صلاته فسبح به من خلفه فإن صدقك أكمل صلاته وسجد بعد السلام، وإن شك في خبره سأل عدلين وجاز لهما الكلام بعد ذلك، وإن تيقن الكمال عمل على ما أيقنه وترك العدلين إلا أن يكثر الناس خلفه فترك يقينه ويرجع إليهم، كمل بحمد الله وحسن عونه» (**الأخضري ع.، مخطوط مختصر في فقه العبادات على مذهب الإمام مالك، د.ت، صفحة 75**).

تعرض الأخضري لدراسة التصوف، فألف منظومته "القدسية"، والتي اشتهر بها إلى جانب "السلم المرونق"، ورغم ذلك فهو لم يدرس التصوف كما فعل معاصروه، بمعالجة الطرق الصوفية وأورادها وأعلامها، وإنما درس التصوف من باب نقد متصوفة معاصريه والكشف عن أعمالهم مبرزا أوجه الاختلاف بينهم وبين المتصوفة الحقيقين أصحاب النهج الصوفي السليم الذي

يجمع بين الشريعة والحقيقة، فاستهل منظومته بالحمد لله و الصلاة على النبيء المصطفى فيقول: (**الأخضري ع.، مخطوط منظومة القدسية ، د.ت، صفحة 142**)

يقول راجي رحمة المقتدر المذنب العبد الذليل الأخضري

بحمد رب العالمين أبتدئ ثم صلاته على محمد

ثم يتحدث بعد ذلك عن الجوهر الإنساني أو ما يطلق عليه بـ"الروحاني"، وهو الغاية من التصوف والتعبد، حيث يسعى المسلم إلى المجاهدة بتخطي العوائق والعوائد النفسية كما سماها الأخضري: (**الأخضري ع.، مخطوط منظومة القدسية ، د.ت، صفحة 142**)

شيآن منهما حجاب ظاهر وباطن في النفس أي سائر

فالظاهر العوائد النفسية والباطن العوائق النفسية

فأول يدعى بالحجاب الحسي والثاني يدعى بالحجاب النفسي.

فيقصد الأخضري بـ"العوائد" كل ما هو متعلق بالحس ويجب على المرء اجتنابه أو المبالغة فيه كالأكل والنوم والراحة واللباس الفاخر وكل ما يتعلق بشهوة الجسم، و"العوائق" كل ما هو متعلق بالنفسي مثل حب الرياسة، الأنانية، حب التملك.... والملاحظ على الأخضري أنه استخدم منهج المناطقة في معالجة التصوف، فينطلق من تأصيل القضية (تحديد الماهية) ثم ينتقل إلى تحديد المفاهيم الفرعية، ثم يخلص في النهاية إلى هل يطابق الفعل (الواقع) الأصل (الفكر التنظيري والمنظرون الأوائل).

فأصل القضية عند الأخضري غاية التصوف، بطلب الكمال وعلاج النفس، ثم ينتقل إلى تحديد بعض المفاهيم مثل الجوهر الإنساني الذي يقول عنه:

اعلم بأن الجوهر الإنساني وهو الذي يدعونه الروحاني

منشؤه في العالم العلوي مستودع في القلب الجسمي

ويحدد الأخضري مفهوم الطهارة وعوائقها؛ ويقصد به تطهير النفس من الشهوات الحسية والمعنوية، والتي اعتبرها الأخضري بمثابة حجاب؛ تحجب المسلم عن الوصول إلى مرتبة الكمال:

فأول يدعى بالحجاب الحسي والثاني يدعى بالحجاب النفسي

ومن المصطلحات التي تعرض لها الأخضري" مرتبة الكمال" حيث يقول:

واعلم بأن رتبة الكمال وخارق العادات في المثال

مطوية في النفس طي الحب في أكمامها ظهورها منها يفي

ومن أوصاف مرتبة الكمال: لقاح العلم والأعمال، الزيادة في العبادة (النوافل)، الحكمة، الطاعة، فيقول: (**الأخضري ع.، مخطوط منظومة القدسية ، د.ت، صفحة 143**)

يبدو لقاح العلم والأعمال بقدر ما للقلب من كمال

كذاك من بعد لقاح العلم والعمل الأزهار عند القوم

وهو ظهور العلم والعبادة على الجوار مع الزيادة

وحكم تجري على لسانه وطاعة تجري على أركانه

كما انتقد من ادعى مراتب الكمال ولم يتصف بصفاتها ولا سعى بسعيها: (**الأخضري ع.، مخطوط منظومة القدسية ، د.ت، صفحة 145**)

قد ادعوا مراتب جليلة والشرع قد تجنبوا سبيله

قد نبذوا شريعة الرسول فالقوم قد حادوا عن السبيل

لم يدخلوا دائرة الطريقة فضلا عن دائرة الحقيقة

ويختتم الشيخ الأخضري منظومته بالصلاة على النبي ويؤرخ لمنظومته: (**الأخضري ع.، مخطوط منظومة القدسية ، د.ت، صفحة 148**)

ثم صلاة الله كل حين على أجل من أتى بالدين

محمد سلطان أهل الحضرة وآله أجل كل زمرة

في أربع وأربعين قد نجز من عاشر القرون قل هذا الرجز

تعتبر قصيدة القدسية «من أجمل القصائد في الأدب الصوفي ومن نوادر التراث الفكري في الأدب العربي بالجزائر، ولا شك أن قارئها سيجد فيها متعة وأدبا وطرفة قد لا يجدها في قصائد كثير من الشعراء الذين طرقوا موضوع التصوف في الأدب العربي وحاولوا الابتكار والإبداع فيه» (**بوعزة، 29 نوفمبر–6ديسمبر 2004، صفحة 10**)، ومما يدل على ذلك الاهتمام الذي لقيته المنظومة في المشرق والمغرب تعدد طبعاتها؛ حيث طبعت مع فتاوى ابن صلاح، وفي كتاب "الزهر الباسم" وأخيرا في الرسائل الجلية (**بوعبدلي، جانفي 1978، صفحة 28**).

كما ترك الأخضري متون في البلاغة والنحو ومنها: منظومة الجوهر المكنون في صدف الثلاثة فنون: منظومة في علم البلاغة من بحر الرجز، تقع في مائتين وواحد وتسعين بيتا(291) مطلعها: (**الأخضري ع.، مخطوط الجوهر المكنون في صدف الثلاثة فنون، د.ت، صفحة 211**)

الحمد لله البديع الهادي إلى بيان مهيع الرشاد

أمد أرباب النهى ورسما شمس البيان في صدور العلما

فابصروا معجزة القرآن واضحة بساطع البرهان

يذكر الأخضري أن سبب تأليفه هو نزول عند رغبة بعض الطلبة، ملخصا ما جاء في كتاب "درر التلخيص" لجلال الدين القزويني، وفي هذا يقول:

وقد دعا بعض من الطلاب لرجز يهدي إلى الصواب

ملتقطا من درر (التلخيص) جواهر بديعة (التلخيص).

سميته بالجوهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون

سعى الأخضري من وراء تأليف منظومة "الجوهر المكنون في صدف الثلاثة فنون" إلى ترسيخ مسائل البلاغة العربية وتبسيط مفاهيمها للطلبة (**هني، 6–7 مارس 2012، صفحة 124**)، وقد أُدرجت ضمن المنظومات التعليمية البلاغية في بعض زوايا ومدارس التعليم، واعتنى بها العلماء

بتدريسها وشرحها، وممن شرح منظومة "الجوهر المكنون" الشيخ "محمد بن محمد بن علي بن موسى" الثغري" نسبا، الجزائري منشأ أسماه " موضع السر المكنون في شرح الجوهر المكنون" ولا يزال هذا الشرح مخطوطا (**الجيلالي، 1994، صفحة 80**).

2- تقنيات التدريس عند الشيخ عبدالرحمن الأخضري

2-1الاعتماد على الاختصار والمختصرات

يعتبر الاختصار أحد تقنيات التدريس والتأليف الذي اعتمد عليه الأخضري في العملية التعليمية وهو ما نستنتجه من خلال متون العلمية؛ فقد أشار في بعض مؤلفاته أنها موجهة إلى المتعلمين أو كما سماهم "المبتدئين" وهي مرحلة من التعليم، فيذكر في السلم المرونق: (**الأخضري ع.، مخطوط السلم المرونق في علم المنطق، د.ت، صفحة 01**)

وأن يكون نافعا للمبتدي به إلى المطولات يهتدي

فالاختصار عند الأخضري يهدف إلى تسهيل وتبسيط الفهم والإدراك أثناء قراءة المطولات؛ حيث يقول في شرح هذا البيت: «ولما كان هذا الكتاب سببا إلى المطولات وسلما يرقى به من هذا الفن درجات قلت في آخر البيت (به إلى المطولات يهتدي)، ولا شك أن من حفظه وفهمه يكون له سببا في الدخول في هذا الفن-أي علم المنطق- ويضمن له جل مهماته ويعينه على فهم مطولاته» (**الأخضري ع.، مخطوط شرح السلم المرونق، صفحة 04**).

إذا رجعنا إلى مرحلة تعلُّم الأخضري، فقد كان يحبذ الاختصار وينبذ قراءة المطولات، ففي حديثه عن تأليف الدرة البيضاء يقول: «وكان السبب الذي منعني من قراءة نظم أبي إسحاق ما فيه من الحشو والتطويل بلا فائدة مع ثقل كثير أبياته فجزاه الله خيرا وأمثاله» (**الأخضري أ.، 1987، صفحة 136**)؛ فالأخضري ينتقد منهج المطولات ويستثقله على المتعلمين ومن ثم فهو يرى أن منهج الاختصار هو المنهج السليم للمتعلمين قبل طَرق باب المطولات، وقد أثر هذا التفكير على تأليفه سواء نظما أو شرحا؛ ففي شروحاته ركز على المعنى ولم يتوسع في شرح الألفاظ وإعرابها إلا ما دعت الضرورة لذلك.

وما يميّز الأخضري في منهج الاختصار لديه هو الوضوح والبساطة، وهو ما يفسّر اقبال طلبة العلم لدراسة مؤلفاته، حيث يقول عبدالرحمن الجيلالي: «ومما يميز أسلوب الأخضري في التأليف سهولة عباراته وحسن سبكه، ورشاقة أسلوبه في بسطه لمسائل العلوم، الأمر الذي جعل الناس من مشارق الأرض ومغاربها يقبلون على مؤلفاته يدرسونها ويشرحونها في كل مدرسة أو معهد من معاهد العلم» (**الجيلالي، 1994، صفحة 80**)، ويضيف سعد الله مشيرا إلى نجاح الأخضري في اختصار قواعد المنطق فيقول: «ومن الواضح أن الأخضري يجيد علم المنطق فقد نجح في اختصار قواعده وتوضيحها في متنه المعروف بـ"السلم المرونق" وفي شرحه الوافي والسهل عليه، وهو الذي أصبح عمدة الأستاذ والتلميذ على حد سواء وهكذا نجد أنفسنا أمام عمل خالد فرض نفسه على الدراسات المنطقية حوالي أربعة قرون» (**سعد الله، 2008، صفحة 28**)، وعن منظومة الجوهر المكنون يحدثنا كمال عجالي: «وعن قراءة متأنية لنظم الأخضري نستنتج: أن الرجل كان متمكنا فعلا متضلعا في البلاغة، حاول أن يجمع في هذا النظم أبرز وأشهر ضروب علوم البلاغة مع الدقة المتناهية والاختصار المفيد» (**عجالي، 2008، صفحة 102**).

إذن فالاختصار عند الأخضري أحد المناهج التعليمية المعتمد لديه في تبسيط وتوضيح العلوم؛ حيث يذكر محمد حاج هني: «وتتجلى الغاية التعليمية لدى الأخضري من خلال الاستطراد في تحليل المسائل العويصة وتبسيط المباحث المعقدة، مع الاستعانة بكثرة الشواهد والأمثلة المستنبطة من الواقع التعليمي، إضافة إلى مزجه بين الجانبين النظري والتطبيقي من خلال توظيفه لشواهد وأمثلة تتعلق بالسياق العام للحياة، تماشيا مع مطابقة الكلام لمقتضى الحال» (**هني، 6-7 مارس 2012، صفحة 129**).

2-2 الاعتماد على المنطق في الاستدلال والبرهان

يظهر دور المؤلف في تأليفه من خلال طريقة عرضه للأفكار، فالمنهج هو أسلوب إقناع قبل أن يكون طريقة ينتهجها أي كاتب أو محاضر أو مناظر، وكلما اجتهد الكاتب في طريقة عرض أفكاره والاستعمال السليم للمنهج كلما كان تأليفه أحسن جودة وأفكاره أكثر إقناعا، ومن يقرأ مؤلفات الأخضري سيجده أكثر حرصا عل طريقة وأسلوب العرض، ومتأثرا بمنهج المناطقة وموظفا له في مؤلفاته.

أول مؤلف سنقف عنده هو منظومته "القدسية" في التصوف، ومن خلال قراءتنا لهذه المنظومة استنتجت أن الأخضري حاول الإجابة على الإشكالية الآتية: ماهي معالم التصوف الحقيقي الذي يجمع بين الشريعة والحقيقة؟ وهل كل من ينتسب للتصوف يمثله أو صورة عاكسة لحقيقته؟ فقد ظهرت معالم تأثر الأخضري بمنهج المناطقة في معالجة قضية التصوف، فبدأ بمقدمات عرف فيها بعض المصطلحات الخاصة بموضوع التصوف، مثل الجوهر الإنساني، دائرة التطهير، والكمال القدسي (**الأخضري ع.، مخطوط منظومة القدسية ، د.ت، الصفحات 142–143**).

وبعد تزويد القارئ بمفاهيم بسيطة حول المصطلحات المذكورة، ينتقل الأخضري إلى تعداد طرق التطهير والأعمال الموصلة إلى مرتبة الكمال، فإذا التزم المريد بذلك ظهرت فيه صفات هذه المرتبة منها: لقاح العلم مع العمل، الزيادة في التعبد والحكمة (**الأخضري ع.، مخطوط منظومة القدسية ، د.ت، صفحة 143**)

وحكم تجري على لسانه وطاعة تجري على أركانه

وقد ركز على ذكر أحد طرق التطهير والوصول إلى مرتبة الكمال مبرزا شروطه منها الذكر بالخشوع والوقار. وأخيرا يقارن بين هذه الشروط وأعمال المبتدعين من المتصوفة في عصره، والذي يراهم أنهم خالفوا هذه الشروط وابتدعوا في الدين مبينا صفات الذاكر الحقيقي، ومن ثمة فإن الأخضري في معالجته لقضية التصوف وفي إطار التسلسل المنطقي من تحديد المفاهيم العامة للموضوع إلى معالجة الإشكالية من الناحية النظرية، ثم إسقاط الجانب النظري على الواقع مبرزا مدى ارتباط العقل بالفكرة، وهو نفس المنهج الذي استعمله في حديثه عن مرتبة الكمال، فبين شروطها، وصفات المتصوفة الذين التزموا بتلك الشروط، وأخيرا متصوفة زمانه الذين أخلوا بها (**الأخضري ع.، مخطوط منظومة القدسية ، د.ت، الصفحات 144–148**).

أخذ الأخضري بالأسلوب المنطقي في عرضه لكثير من مسائل البلاغة، فهو يلجئ الكثير من القضايا إلى ما تقرر في علم المنطق، وورد ذلك في موضوعات كثيرة؛ تجلب بوضوح في الباب الأول من علم المعاني أثناء حديثه عن الإسناد الخبري وأحواله، واستطراده في بيان الفرق بين المفهوم والمصدوق، وفي ذكره للدلالة الوضعية في مقدمة علم البيان يعالج بالتفصيل أقسام

الدلالة الوضعية من مطابقة وتضمن والتزام، ورأي المناطقة في ذلك بما يتفق مع علماء البيان، وهو بالتالي يوضح مدى تأثر الأخضري بالمنطق واستخدامه في منظومته "الجوهر المكنون في صدف الثلاثة فنون" وشرحه لها.

وقد استخدم الأخضري منهج المناطقة في تأليف "الدرة البيضاء"؛ حيث خصص الجزء الأول للكلام عن الحساب ومبادئه وعملياته (**الأخضري ع.، مخطوط الدرة البيضاء، د.ت، الصفحات 61-64**)، ليكون عبارة عن مفاهيم عامة لابد من معرفتها ثم انتقل إلى الجزء الثاني والذي خصصه للتركات يذكر من يرث ومن لا يرث ونصيب كل وارث، وهو بمثابة دراسة نظرية ليكون الجزء الثالث عبارة عن دراسة عملية تطبيقية والذي جعله للقسمة.

2-3 الموسوعية في تدريس العلوم والاهتمام بالعلوم العقلية

أثر سقوط بغداد وبعدها الأندلس على المشهد الثقافي للعالم الإسلامي؛ حيث يعتبران من أهم الحواضر الثقافية التي زودت العالم الإسلامي لقرون عديدة ويتجلى هذا التأثر في الجمود الفكري خاصة مع نهاية القرن التاسع وبداية القرن العاشر الهجريين، وقد أثر بدوره على الجانب التعليمي، فبعدما كان التعليم يشمل كافة العلوم النقلية والعقلية، أصبح المنهاج التعليمي الذي يوجه للطالب يركز على دراسة العلوم النقلية خاصة الفقه، بل ظهرت أصوات تعارض تدريس العلوم العقلية خاصة "المنطق" وشاعت مقولة "من تمنطق فقد تزندق"، ونُظر إلى علم الفلك على أنه تنجيم، فما موقف الشيخ عبدالرحمن الأخضري من تدريس العلوم العقلية؟

يعتبر علم المنطق من أكثر العلوم جدلا حول تعليمه وتعلمه، فقد حرم بعض العلماء الاشتغال به كابن صلاح والنووي، إلا أن الأخضري يرى جواز تعليمه وتعلمه والاشتغال به فيقول: (**الأخضري ع.، مخطوط السلم المرونق في علم المنطق، د.ت، صفحة 02**)

والخلف في جواز الاشتغال ... به على ثلاثة أقوال

فابن صلاح والنووي حرما ... وقال قوم ينبغي أن يعلما

والقولة المشهورة الصحيحة ... جوازه لكامل القريحة

ويقول الأخضري في شرح هذه الأبيات ما نصه: «هذا الفصل موضوع لذكر الخلاف المذكور في جواز الاشتغال بعلم المنطق ليكون المبتدئ على بصيرة من مقصوده؛ وقد اختلف فيه

على ثلاثة أقوال كما ذكر، فمنعه النووي وابن صلاح واستحبه الغزالي ومن تبعه قائلا من لا يعرفه لا يوثق في علمه، والمختار الصحيح جوازه لذكي القريحة» (**الأخضري ع.، مخطوط شرح السلم المرونق، صفحة 04**)، ومن ثم فإن الأخضري يرى جواز الاشتغال بالمنطق لمن أراد خلافا للغزالي الذي لا يوثق بعلم من لا يعرفه أو النووي الذي حرمه.

ويضع الأخضري شروطا لمن أراد أن يشتغل بالمنطق حتى لا يزيغ مثلما حدث لبعض الطوائف فيقول: «والمختار الصحيح جوازه لذكي القريحة صحيح الذهن سليم الطبع ممارس الكتاب والسنة لئلا يؤول به إلى اتباع بعض الطرق الوهمية فيفسد المقدمات والأقيسة النظرية فتزل قدمه في بعض الدركات السفلية ومنه ظلت المعتزلة والقدرية وغيرهم من الطوائف البدعية، فخاضوا في ذلك حتى بدلوا وغيروا في السنة الشرعية والملة المحمدية» (**الأخضري ع.، مخطوط شرح السلم المرونق، صفحة 04**).

ويبين الأخضري أهمية دراسة وتعلم المنطق فيقول: (**الأخضري ع.، مخطوط السلم المرونق في علم المنطق، د.ت، صفحة 01**)

وبعد فالمنطق للجنان نسبته كالنحو للسان

فيعصم الأفكار عن غي الخطأ وعن دقيق الفهم يكشف الغطا

ففي البيت الأول يرى الأخضري أن دور المنطق في تحصين الأفكار كدور النحو في تحصين اللسان، وتحصين المنطق للأفكار تكون وفقا للشروط التي وضعها؛ فإذا وجد خلل في المقدمات، أو من مارس المنطق ليس متفقها في الكتاب والسنة ولا يملك مهارات في استخلاص النتائج فقد يؤدي "تمنطقه" إلى تضليل الأفكار فيظل ويظل، فالخلل إذن ليس في المنطق بل فيمن يمارسه، وهناك من جعل المنطق والفلسفة شيئا واحدا فأبطل المنطق بداعي الفلسفة، والحقيقة «أن المنطق كمنهج يمكن أن نستفيد منه حتى في تحطيم الفلسفة» (**اعليوان، 1981، صفحة ب**) باعتبار أن الفلسفة أفكار والمنطق منهج يطبق على الأفكار لمعرفة مدى سلامتها وارتباطها ببعضها البعض.

يرى الأخضري جواز الاشتغال بعلم المنطق نظرا لفوائده في تحصين الأفكار وما يدل على ذلك تأليفه لمنظومة "السلم المرونق" والتي يهدف من خلالها توسيع دائرة المشتغلين بالمنطق،

فقد وجهها إلى المبتدئين والمتعلمين والعلماء على حد سواء، وإلى جانب المنطق فقد أضيف علم الفلك إلى قائمة المنبوذات في الدراسة، واعتبر الاشتغال به اشتغال بالغيبيات، فما هو موقف الأخضري من تعلمه؟

يرى الأخضري أن تعليم علم الفلك وخاصة ما يختص بالأوقات واجب طبقا لقاعدة "ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب"، حيث يقول في منظومته "السراج": (**الأخضري ع.، مخطوط الدرة البيضاء، د.ت، صفحة 01**)

واعلم أن الجهل بالأوقات جهل بأمر الصوم والصلاة

فالعلم بالأوقات فرض يقبل لأنه به يتم العمل

فمعرفة الأوقات مرتبطة بأداء فرائض تعتبر من أركان الإسلام، فالحج متوقف على معرفة موسمه، والصوم كذلك، وهل يمكن أداء الصلاة في أوقاتها لمن يجهل المعرفة بالأوقات، ويبين الأخضري أهمية هذا العلم فيذكر:

واعلم بأن العلم بالنجوم علم شريف ليس بالمذموم

لأنه يفيد في الأوقات كالفجر والأسحار والصلاة

وينفي الأخضري الادعاء الذي ألصق بالاشتغال بعلم الفلك وارتباطه بالسحر والشعوذة والغيبيات فيقول: (**الأخضري ع.، السراج في الهيئة، (د.ت)، صفحة 01**)

وبعد فاعلم أن علم الفلك علم عزيز من أجل مسلك

أعني الذي تدري به الأوقات والفجر والقبلة والساعات

وما به تطرق للغيب فذلك الحرام دون ريب

ومن خلال اطلاعنا على المنتوج الفكري للأخضري في علم الفلك نلاحظ أنه ركز بالدرجة الأولى على مسألة الوقت، كما حاول ربط دراسة علم الفلك بما يقدمه للدين والعبادة من خدمة ومعرفة، فهو يرى بأن العبادة إذا لم تتم إلا به فلا بد من تدريسه ودراسته.

ارتبط علم الحساب بالفرائض، التي حث الرسول صلى الله عليه وسلم على معرفته الذي يقول عنه الأخضري: (**الأخضري ع.، مخطوط الدرة البيضاء، د.ت، صفحة 01**)

هذا وإن أحسن المقاصد وأحسن الفنون والفوائد

فن الفرائض الذي تعلقا بالإرث فلتكن به محققا

رغب الأخضري العلماء في تعليم علم الحساب لارتباطه بعلم الفرائض وحث الرسول صلى الله عليه وسلم على تعلمه، بل كان السبب في نظمه "رسالة في علم الحساب" ومنظومة "الدرة البيضاء"؛ حيث يقول فيها: (**الأخضري ع.، مخطوط الدرة البيضاء، د.ت، صفحة 01**)

من حثه جدا على تعليمه شرعت بعد ذلك في تنظيمه

ومن تم فلابد من تعلم الحساب مادام أنه مرتبط بالميراث وكل ما يتعلق بعلم الفرائض.

2-4 براعة الاستهلال وحسن الاختتام

تعتبر حسن بداية الكلام ونهايته عند الأخضري، من الضروريات التي يجب أن يتميز بها أي شاعر أو خطيب أو كاتب، فحسن البداية تجعل المستمع يتشوق لما ستقوله بعد ذلك، والقارئ لما هو مكتوب بعد البداية؛ حيث يقول الأخضري في منظومه "الجوهر المكنون": (**الأخضري ع.، مخطوط الجوهر المكنون في صدف الثلاثة فنون، د.ت، صفحة 221**)

وينبغي لصاحب الكلام تأنق في البدء والختام

بمطلع سهل وحسن القال وسبك أو براعة استهلال

والحسن في تخلص أو اقتضاب وفي الذي يدعونه فصل الخطاب

إن من يطلع على هذه الأبيات سيكتشف أن الأخضري له دراية بمنهجية الإلقاء والتلقين، فقد وقف على ثلاث نقاط حساسة هي: البداية، النهاية وكيفية معالجة القضايا المختلف فيها وطريقة إبداء الرأي والفصل فيها.

يذكر الأخضري في شرحه لهذه الأبيات ما نصه: «ينبغي لكل متكلم من شاعر أو خطيب أو كاتب أن يتأنق في مبدأ كلامه وفي منتهاه ما استطاع» ثم يعرض أسباب ذلك فيرى أن حسن الابتداء «موجب لإقبال نفس السامع وجاذب لها، حتى تتعشق بسببه إلى ما بعده

فتتطلع على المقصود»، وأما حسن الختام «فيكون للنفس عند آخر عهد به التذاذ يزيل ما سبق لها من الإملال» ويشبه الأخضري ذلك بـ «منزلة المبالغة في إكرام الضيف حين قدومه وحين توديعه، ففي الأول استلافه، وفي الثاني إبقاء ثنائه وحبه» (**الأخضري ع.، مخطوط الجوهر المكنون في صدف الثلاثة فنون، د.ت، صفحة 150**).

وخلاصة القول فإن البعد البيداغوجي بدا واضحا في منهج التأليف عند الأخضري، فمؤلفاته معظمها منظومات تعليمية راعى فيها التعميم، الاختصار والبساطة مع حسن الابتداء والانتهاء، والأخذ بالأقوال الراجحة في كثير من قضايا الاختلاف، وهذا المنهج خالف به كثير من مناهج عصره.

خاتمة:

لقد تنوعت تقنيات التدريس عند الأخضري وهو ما نستنتجه من خلال دراسة متونه العلمية، فكانت أغلب مؤلفاته عبارة عن منظومات تعليمية اتبع فيها أسلوب الاختصار والتوضيح والتبسيط حيث كانت موجه لطلاب العلم المبتدئين، وقد ذكر ذلك في منظومة السلم المرونق وفي شرحه لتلك المنظومة، ورغم ذلك فقد وظّف منهج علماء المنطق في بعض مؤلفاته، كما نوّع الأخضري في تدريس العلوم بين العلوم الشرعية والأدبية وحتى العلوم العقلية الضرورية بحكم قاعدة "ما لا يتم الواجب به فهو واجب"، وقد تعرض في بعض مؤلفاته إلى وجوب حسن الابتداء وحسن الاختتام وهو ما يدل على اهتمام الأخضري بتقنيات التدريس والتأليف والإلقاء على حد سواء.

قائمة المراجع

-أبو القاسم سعد الله. (2008). لمحات من حياة الشيخ عبد الرحمن الأخضري. *مجلة الخلدونية* (6).

-اعليوان, س .(1981) .*عبدالرحمن الأخضري وكتابه السلم المرونق في المنطق دراسة وتحقيق* . جامعة الجزائر: قسم الفلسفة، معهد العلوم الاجتماعية.

-الأخضري, أ .(1987) .*رسالة العقد الجوهري في تعريف الشيخ عبد الرحمن الشهير بـ"الأخضري* .جامعة الأمير عبدالقادر للعلوم الاسلامية, قسنطينة-الجزائر: مجلة العلوم الاسلامية العدد 2.

-الأخضري, ع .(د.ت) .السراج في الهيئة .*مخطوط رقم 1451* .الجزائر: المكتبة الوطنية الجزائرية.

-الأخضري, ع.(د.ت) .مخطوط الجوهر المكنون في صدف الثلاثة فنون .الجزائر: المكتبة الوطنية الجزائرية.

-الحلبوني, خ .(2006) .الشعر التعليمي البداية والتطور .*مجلة جامعة دمشق*.(43)

-الشيخ أبو عمران، و وآخرون. (2007). *معجم مشاهير المغاربة*. الجزائر: منشورات دحلب.

-المهدي بوعبدلي. (جانفي 1978). عبدالرحمن الأخضري وأطوار السلفية في الجزائر. *مجلة الأصالة*.

-بوشيبة, ذ .(مارس 2012) .العلم والعلماء في الجزائر خلال العهد العثماني) .*مجلة الحوار المتوسطي*.(4+3)

-عبدالرحمن الأخضري . (د.ت). مخطوط الدرة البيضاء. الجزائر: المكتبة الوطنية الجزائرية.

-عبدا لرحمن الأخضري. (1306هـ). *رسالة في علم الحساب (ضمن مجموع من أمهات المتون المستعملة في غالب خواص الفنون)*. مصر: المطبعة الخيرية.

-عبد الرحمن الأخضري. (د.ت). مخطوط السلم المرونق في علم المنطق. الجزائر: مكتبة الأستاذ مولاي محمد.

-عبد الرحمن الأخضري. (د.ت). مخطوط مختصر في فقه العبادات على مذهب الإمام مالك. الجزائر: المكتبة الوطنية الجزائرية.

-عبدالرحمن الأخضري. (د.ت). مخطوط منظومة القدسية . الجزائر: المكتبة الوطنية الجزائرية.

-عبدالرحمن الأخضري. (د.ت). مخطوط شرح السلم المرونق. قسنطينة-الجزائر: مكتبة جامعة الأمير للعلوم الاسلامية.

-عبدالرحمن الجيلالي. (1994). تاريخ الجزائر العام. *3*. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

-عبدالرحمن تبرمسين. (ديسمبر 2008). آثار عبد الرحمن الأخضري. *مجلة الخلدونية*(6).

-عبدالقادر بوعزة. (29 نوفمبر-6ديسمبر 2004). الشيخ عبد الرحمن الأخضري وقصيدته القدسية. *جريدة البصائر*(216).

-عبدالكريم الفكون. (1987). *منشور الهداية في كشف حال من أدعى العلم والولاية*. (أبو القاسم سعد الله، المحرر) لبنان-بيروت: دار الغرب الإسلامي.

-عمر المختار بن ناصر الأخضري . (1990). *الضياء على الدرة البيضاء في الفرائض*. المدينة المنورة-المملكة العربية السعودية: مطابع الرشيد.

-فوزي مصمودي. (2008). *العلامة الموسوعي عبد الرحمن الأخضري (1514- 1575) شخصيته وآثاره*. الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية.

-كمال عجالي. (ديسمبر, 2008). قراءة في كتاب الجوهر المكنون في صدف الثلاثة فنون للشيخ عبدالرحمن الأخضري. *مجلة الخلدونية*.

-هني, م .(7-6مارس 2012) .الجهود البلاغية لعبد الرحمن الأخضري 983هـ .*الملتقى الوطني السابع حول اسهامات علماء الجزائر في الدراسات اللغوية والأدبية* .أدرار-الجزائر: جامعة أحمد درايعية.